



الكوارث الطبيعية في اليمن في عهد الدولة الرسولية  
وأثرها على المجتمع  
(القرن ٨هـ / ١٤م أنموذجاً)

---

سعيد ناجي غالب قائد اسكندر

أستاذ مشارك

كلية الآداب

جامعة تعز- اليمن

saeed.20102010@hotmail.com

# الكوارث الطبيعية في اليمن في عهد الدولة الرسولية وأثرها على المجتمع (القرن ٨هـ / ١٤م أنموذجاً)

سعيد ناجي غالب قائد اسكندر

## المخلص

يسعى البحث إلى تسليط الضوء على موضوع الكوارث الطبيعية التي أصابت العديد من مناطق ومدن اليمن بين الفينة والأخرى في عهد الدولة الرسولية، وألحقت أضراراً بالغة على سكانها في نواحٍ مختلفة، وتكمن أهمية البحث في هذا الموضوع في كونه يتناول جانباً مهماً من التاريخ الاجتماعي لليمن في العهد الرسولي لم يحظَ بالاهتمام من طرف الباحثين؛ فضلاً على أن البحث في هذا الموضوع بحدوده الزمانية والمكانية لم يُدرس من قبل حسب علمنا. تتبع البحث الكوارث الطبيعية التي وقعت باليمن في عهد بني رسول وتحديدًا في القرن ٨هـ / ١٤م، نظرًا لكثرة الكوارث الطبيعية وتنوعها في هذا القرن، كما عرض البحث أبرز النتائج التي تمخضت عن تلك الكوارث، وأثرها على المجتمع اليمني اقتصادياً واجتماعياً ونفسياً وديموغرافياً. استقى الباحث مادته العلمية بشكل رئيسي من المظان التاريخية وكتب الطبقات والتراجم، ولاسيما التي عاصرت المرحلة المدروسة، مسترشداً بالمنهج التاريخي الوصفي والمنهج التحليلي في بناء البحث.

الكلمات المفتاحية: اليمن، الكوارث الطبيعية، الدولة الرسولية، المجتمع اليمني.

## Natural disasters in Yemen during the Rasulid State and their Impact on the Society (AH 8th / AD 14th Century as an example)

Saeed Naji Ghaleb Qaed Iskandar

### Abstract:

This research seeks to shed light on the issue of natural disasters that took place in many regions and cities of Yemen from time to time during the era of Bani Rasul, and caused severe damage to its inhabitants in various aspects. The significance of research on this topic lies in the fact that it deals with important aspects of the social history of Yemen during the Rasulid era which researchers have not given them the attention they deserve. Moreover, research on this topic with its temporal and spatial limits has not been studied before as far as we know. The research traces natural disasters that occurred in Yemen during the era of Bani Rasul, specifically in the AH 8 / AD 14th century, in view of the great number and diversity of natural disasters that occurred in this century. The research also presents the most prominent results of the disasters, and their impact on the Yemeni society economically, socially, psychologically and demographically. The research derives its material mainly from historical sources and biographies, especially those ones on the period under research; it follows the descriptive historical method and the analytical approach.

Keywords: Natural Disasters; The Rasulid State; Yemeni Society; Yemen.

## مقدمة الدراسة وإطارها النظري:

انصب اهتمام كثير من المؤرخين والباحثين في تاريخ الدولة الرسولية على الجانب المشرق من تاريخ هذه الدولة، والتركيز على النهضة التي شملت مختلف الجوانب العلمية والثقافية والاقتصادية والعمرائية، ودور سلاطين الدولة في الجانبين السياسي والعسكري؛ سواء على المستوى المحلي، أو على المستوى الخارجي والعلاقات الدولية.

ومما لا شك فيه أن الدولة الرسولية كانت نقطة مضيئة ومشرفة ليس في اليمن فحسب؛ بل في العالم الإسلامي حينها، لا سيما أن بزوغ نجمها جاء في مرحلة عصبية من تاريخ الأمة؛ خاصة بعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م وضعف هيبة المسلمين.

ولكن بالمقابل هناك قضايا ظلت محل النسيان لدى الباحثين والمهتمين بتاريخ الدولة الرسولية، لاسيما في الجانب الاجتماعي، وما تعرض له المجتمع من نكبات وأزمات بفعل الكوارث الطبيعية، التي هددت الإنسان اليمني في العصر الوسيط وكادت تعصف بحياته بين الفينة والأخرى، وأثرت عليه سلباً على كل المستويات الاقتصادية والاجتماعية والنفسية والديموغرافية.

ووفق هذه المعطيات يحاول هذا البحث تسليط الضوء على الكوارث الطبيعية في العهد الرسولي؛ مركزاً على القرن ٨هـ / ١٤م؛ نظراً لما شهدته هذا القرن من كوارث وجوائح متعددة، ألحقت معاناة كبيرة بالمجتمع اليمني حينها، كالأمطار الغزيرة وما نتج عنها من سيول مدمرة، والجذب والقحط، والحرائق، وعواصف الرياح، والغرق، والجراد، والزلازل... وغيرها؛ فضلاً على أن البحث في هذا الموضوع بحدوده الزمانية والمكانية لم يسبق دراسته من قبل حسب علمنا.

ويستند البحث في مادته العلمية على ما ورد في بطون المصادر التاريخية وكتب الطبقات والتراجم، سواء المعاصرة للدولة الرسولية أو القريبة منها، أو اللاحقة لها؛ معتمداً المنهج التاريخي الوصفي، والمنهج التحليلي في استنتاج وتحليل النصوص المصدرية ذات الصلة بموضوع البحث.

ولمقاربة الموضوع؛ قُسم البحث إلى محورين رئيسيين: المحور الأول: تناول الكوارث الطبيعية التي وقعت في اليمن في القرن ٨هـ / ١٤م، وناقش المحور الثاني أبرز نتائج تلك الكوارث؛ وأثرها على المجتمع اليمني.

المحور الأول: الكوارث الطبيعية في اليمن في القرن ٨هـ / ١٤م تعددت الكوارث الطبيعية التي تعرّض لها كثيرٌ من مدن ومناطق اليمن في عهد الدولة الرسولية في القرن ٨هـ / ١٤م<sup>(١)</sup>، وسنحاول في هذا المحور تتبع تلك الكوارث، ورصد توقيت وقوعها، وترتيبها كرونولوجياً (زمنياً)؛ حتى يتسنى رسم صورة واضحة لها؛ تساعدنا لاحقاً- في المحور الثاني- على استخلاص أهم النتائج المترتبة على تلك الكوارث وأثرها على المجتمع اليمني، ويمكن عرض أبرز تلك الكوارث على النحو التالي:

أولاً- كارثة الأمطار الغزيرة والسيول الجارفة المصاحبة لها قبل الحديث عن الأمطار الغزيرة والسيول الناجمة عنها، نود الإشارة إلى أن مناخ اليمن عموماً يتميز بأنه مناخ موسمي، حار ممطر صيفاً، جاف بارد شتاءً، وأن متوسط كمية الأمطار المتساقطة سنوياً تتراوح ما بين ٦٠٠ الى ٧٠٠ ملم، في المرتفعات الجنوبية الغربية من اليمن التي تحظى بمعدل أعلى من التساقطات المطرية، مما يسبب جريانات مائية (سيول)، في الأودية المتجهة غرباً فيصل إلى البحر الأحمر، مثل وادي زبيد؛ الأمر الذي يؤدي إلى جرف التربة وقتل المواشي وموت جموع من الناس، بينما تقل كمية الأمطار في المناطق والمدن الساحلية والتهامية التي قد تتراوح نسبة الأمطار فيها من ٥٠-١٠٠ ملم، وتزداد نسبتها كلما اتجهنا غرباً باتجاه المرتفعات الجنوبية الغربية، فقد تصل إلى ٢٥٠ ملم، كما هو الحال في المدن الداخلية مثل مدينة زبيد وبيت الفقيه، ويعد شهراً آب وأيلول (سبتمبر وأكتوبر) أكثر شهور السنة أمطاراً<sup>(٢)</sup>.

وترجع أقدم الإشارات المصدرية التي تحدثت عن الأمطار الغزيرة والسيول الجارفة المصاحبة لها، وما نتج عنها من كوارث؛ إلى سنة ٧٠٤هـ / ١٣٠٤م، فقد ذكر المؤرخ الجندي تعرض مدينة عدن<sup>(٣)</sup>، لسيل جرار في تلك السنة جرف المساكن وجموع من الناس حتى بلغ بهم البحر (الجندي، ١٩٩٥: ج ٢، ٤٥٢).

وبعد أربعة عقود تقريباً من حصول كارثة سيل مدينة عدن تتحدث المصادر (ابن الديبع، ٢٠٠٦: ٩١؛ الوصابي، ١٩٩٩: ١١٩) عن وقوع أمطار غزيرة في وادي زبيد يوم التاسع عشر من صفر سنة ٧٤٣هـ / ٢٥ مايو ١٣٤٣م<sup>(٤)</sup>، ليدفع الوادي "بسيل عظيم" أدى إلى إهلاك جموع من أهل قرية المسلب<sup>(٥)</sup>، وقبل أقول العقد السادس من القرن ٨هـ / ١٤م وتحديدًا في أواخر سنة ٧٥٩هـ / ١٣٥٧م كانت مدينة زبيد<sup>(٦)</sup>، على موعد مع مطر غزير أحدث فيها خراباً هائلاً (الأهدل، ٢٠١٢: ج ٢، ٥٢٣).

كما تعرضت مدينة زبيد في فترات لاحقة لموجات متلاحقة من الأمطار الغزيرة؛ سببت أضراراً بالغة، فقد ذكر صاحب العقود اللؤلؤية أن يوم الأربعاء ٥ رمضان سنة ٧٦٠هـ / ٣١ يوليو ١٣٥٩م شهد سقوط "مطر شديد في مدينة زبيد ونواحيها ... فهدمت بيوت كثيرة على أصحابها" (الخرجي، ١٩٨٣: ج ٢، ٩٥)، ويخيل إلينا أن مدينة زبيد قد تضررت كثيراً جراء مطر الأربعاء الرمضاني، حتى أصبح مطر ذلك اليوم مشهوراً، يتجلى ذلك من خلال تدوينه والإشارة إليه في مؤلفات كتاب ومؤرخي تلك المرحلة<sup>(٧)</sup>.

وفي رمضان سنة ٧٦٧هـ / مايو ١٣٦٦م وقع في تعز<sup>(٨)</sup> مطر غزيرٌ تسبب بخسائر مادية وبشرية كبيرة (الخرجي، ١٩٨٣: ج ٢، ١١٧)؛ وكانت سنة ٧٧٤هـ / ١٣٧٣م سنة مطيرة، إذ تذكر الروايات أن ما بين حيس<sup>(٩)</sup> وتعز شهد أمطاراً غزيرة؛ لدرجة أن موكب السلطان الأفضل (٧٦٤-٧٧٨هـ / ١٣٦٢-١٣٧٦م)، الذي كان في طريق عودته من زبيد إلى تعز؛ داهمته السيول الهادرة في وادي المخيشيب - بين زبيد وتعز- فجرفت " طائفة من الناس فضلاً عن الدواب وغيرها" (الخرجي، ١٩٨٣: ج ٢، ١٣٠؛ غير معروف، ١٩٨٤: ٧٣) ، وفي تلك السنة "جمد الماء في حصن تعز وفي المجلية"<sup>(١٠)</sup> ... ولم يعهد ذلك من قبل. (غير معروف، ١٩٨٤: ٧٤)، كما " حصل مطر

عظيم في سهام<sup>(١١)</sup> سنة ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م، صاحبه بردٌ على شكل حبات العنب<sup>(١٢)</sup>. وفي سنة ٧٨٦هـ / ١٣٨٤م أغارت عساكر السلطان-الأفضل- على بلاد المعازبة<sup>(١٣)</sup>، ففر سكانها إلى اتجاه البحر" فحصل مطر عظيم فغرق منهم جمع عظيم من النساء والرجال"(غير معروف، ١٩٨٤: ٩٠)، وتعرضت مدينة زبيد لمطرٍ غزيرٍ في سنة ٧٨٨هـ / ١٣٨٦م؛ حتى سقط بنيان بعض أبوابها (غير معروف، ١٩٨٤: ٩٣)، وفي شعبان سنة ٧٨٩هـ / أغسطس ١٣٨٧م "وقع في نواحي زبيد مطر شديد" صاحبه رعد وبرق؛ أدى إلى موت البعض في "ناحية صمع من وادي رمع"<sup>(١٤)</sup>، وبعد أقل من عام من هذا التاريخ؛ وتحديداً في ٢١ صفر سنة ٧٩٠هـ / ١ مارس ١٣٨٨م تعرضت بعض الأماكن في زبيد ونواحيها لكارثة سيولٍ لا نظير لها، جراء دفع "وادي زبيد"<sup>(١٥)</sup> بسيول عظيم حتى قيل إنه كان نحواً من أربعة أنواع"، ملحقا أضرارا بالغة في المساكن والثروة الحيوانية ومحاصيل النخيل(الخرجي، ١٩٨٣: ج ٢، ١٦٥؛ غير معروف، ١٩٨٤: ٩٧).

### ثانياً- كارثة البروق

ومن الأمور التي صاحبت هطول الأمطار الغزيرة ظاهرة البروق والرعود والتي سببت كوارث بشرية ومادية في بعض الأحيان، فالمطر العظيم المتساقط في نواحي زبيد في شعبان سنة ٧٨٩هـ / أغسطس ١٣٨٧م، صاحبه "برق يومئذٍ في ناحية صمع من وادي رمع فأصاب ثلاثة نفر كانوا تحت شجرة هناك فهلكوا فورهم" (الخرجي، ١٩٨٣: ج ٢، ١٦٣)، وفي السياق ذاته يشير الخرجي إلى برقٍ أصاب إحدى قرى مور- يقال لها الدملة- في شعبان سنة ٧٩٨هـ / مايو ١٣٩٦م، أدى إلى حرق وموت عددٍ من الحيوانات وبعض الناس (الخرجي، ١٩٨٣: ج ٢، ٢٣٦)، كما تعرضت مدينة تعز ونواحيها، لـ"رعد وبرق" في ١٩ شوال ٧٩٦هـ / ١٧ أغسطس ١٣٩٤م، أصاب جماعة من الناس، ومات البعض منهم(الخرجي، ١٩٨٣: ج ٢، ٢٠٩).

وهكذا يتبين لنا مما سبق أن الأمطار الغزيرة وما نتج عنها من سيول متدفقة وما صاحبها -أحياناً- من حدوث برق ورعد، ظلت تصيب العديد من مناطق ومدن اليمن، ملحقة كوارث كبيرة، سنتحدث عنها وعن مآلاتها ونتائجها في المحور الثاني من هذا البحث، بعد أن نستعرض بقية الكوارث الأخرى التي تعرضت لها اليمن في القرن ٨هـ / ١٤م.

### ثالثاً- كارثة الجفاف والجذب

إذا كانت اليمن قد تعرضت في القرن ٨هـ / ١٤م لأمطار غزيرة زادت عن قدرها، وسيول جارفة سببت كوارث وأضراراً مادية وبشرية كبيرة، فإنها بالمقابل قد مرت بحالات من الجفاف والجذب في بعض السنوات.

فمع دخول القرن ٨هـ / ١٤م، وتحديداً سنة ٧٠١هـ / ١٣٠١م، حصل جفاف شديد نتج عنه انعدام الماء والطعام وعلف الحيوانات (ابن عبد المجيد، د.ت: ١١٥)، واستمرت حالة الجذب والشدة إلى السنة التالية، فقد أكدت المصادر (الخرجي، ١٩٨٣: ج ٢، ٢٣٦؛ ابن عبد المجيد، د.ت: ١١٨؛ الأهدل، ٢٠١٢: ج ٢، ٣١٢)، أن سنة ٧٠٢هـ / ١٣٠٢م شهدت حدوث "قحط شديد"، أجبر كثيراً من الناس على مغادرة مناطقهم، وخلت البلاد من قاطنيها (ابن عبد المجيد، د.ت: ١١٨)، وبيعت "الأطيان"- الأراضي الزراعية- "بأرخص

عظيم في سهام<sup>(١١)</sup> سنة ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م، صاحبه بردٌ على شكل حبات العنب<sup>(١٢)</sup>.

وفي سنة ٧٨٦هـ / ١٣٨٤م أغارت عساكر السلطان-الأفضل- على بلاد المعازبة<sup>(١٣)</sup>، ففر سكانها إلى اتجاه البحر" فحصل مطر عظيم فغرق منهم جمع عظيم من النساء والرجال"(غير معروف، ١٩٨٤: ٩٠)، وتعرضت مدينة زبيد لمطرٍ غزيرٍ في سنة ٧٨٨هـ / ١٣٨٦م؛ حتى سقط بنيان بعض أبوابها (غير معروف، ١٩٨٤: ٩٣)، وفي شعبان سنة ٧٨٩هـ / أغسطس ١٣٨٧م "وقع في نواحي زبيد مطر شديد" صاحبه رعد وبرق؛ أدى إلى موت البعض في "ناحية صمع من وادي رمع"<sup>(١٤)</sup>، وبعد أقل من عام من هذا التاريخ؛ وتحديداً في ٢١ صفر سنة ٧٩٠هـ / ١ مارس ١٣٨٨م تعرضت بعض الأماكن في زبيد ونواحيها لكارثة سيولٍ لا نظير لها، جراء دفع "وادي زبيد"<sup>(١٥)</sup> بسيول عظيم حتى قيل إنه كان نحواً من أربعة أنواع"، ملحقا أضرارا بالغة في المساكن والثروة الحيوانية ومحاصيل النخيل(الخرجي، ١٩٨٣: ج ٢، ١٦٥؛ غير معروف، ١٩٨٤: ٩٧).

وفي منطقة بعدان<sup>(١٦)</sup> سقطت أمطاراً غزيرة يوم ١٠ صفر سنة ٧٩٣هـ / ١٧ يناير ١٣٩١م أسهمت في قلب نتيجة المعركة بين أهالي بعدان وقوات الإمام الزيدي صلاح بن علي<sup>(١٧)</sup>، الذي استباح بعض قراهم، فتعثرت خيوله ورجاله بفعل ذلك المطر وتلقى هزيمة فادحة (غير معروف، ١٩٨٤: ١٠٩).

ويتكرر تساقط الأمطار الغزيرة على زبيد، فقد ذكرت بعض الروايات أن يوم العيد سنة ٧٩٣هـ / ١٣٩٠م، شهد مطراً عظيماً في زبيد، لدرجة أنه حجز الركاب الشريف للسلطان الأشرف "الثاني" إسماعيل (٧٧٨-٨٠٣هـ / ١٣٧٧-١٤٠٠م)، فلم يتمكن من النزول إلى الميدان، واضطر لتكليف الملك المؤيد إلى النزول بدلاً عنه (غير معروف، ١٩٨٤: ١١٠)، وفي سنة ٧٩٤هـ / ١٣٩١م "حصل مطر عظيم في المحالب"<sup>(١٨)</sup> واتصل إلى تعز" (غير معروف، ١٩٨٤: ١١١)، نجم عنه بردٌ شديدٌ سبب بعض الأمراض، أودت بحياة جموعٍ من الناس<sup>(١٩)</sup>.

وعرف شهر جمادي الأولى سنة ٧٩٥هـ / ابريل ١٣٩٣م، سيولاً جارفةً تجمعت في وادي زبيد، ودفعت "بماء عظيم، قيل إنه أعظم من سنة سيل المسلب"، كانت أضراره جسيمة<sup>(٢٠)</sup>، كما شهدت مدينة تعز ونواحيها في شوال سنة ٧٩٦هـ / أغسطس ١٣٩٤م أمطاراً غزيرة؛ رافقها رعدٌ وبرقٌ أصاب مجموعة من الناس وقضى على آخرين (الخرجي، ١٩٨٣: ج ٢، ٢١٩).

وفي أواخر سنة ٧٩٧هـ / ١٣٩٥م تساقطت أمطارٌ غزيرة على مدينة تعز ونواحيها ذكرها الخرجي قائلاً: "وفي اليوم الرابع عشر من ذي القعدة وقع في تعز ونواحيها وسائر المخلاف مطر شديد ... وتهدمت عدة دكاكين على ما فيها"<sup>(٢١)</sup>، والظاهر أن تلك الأمطار التي غمرت تعز ونواحيها قد تزامنت مع أمطار أخرى في وادي زبيد؛ وهو ما أكده الخرجي بقوله: "ونزل في تلك الليلة في وادي زبيد مياه عظيمة أتلفت مواضع كثيرة في أعلى الوادي وفي أسفلها"<sup>(٢٢)</sup> (الخرجي، ١٩٨٣: ج ٢، ٢٢٨)، وبعد عشرة أيام من هذه الحادثة، وتحديداً يوم الاثنين ١٤ ذي القعدة سنة ٧٩٧هـ / ٣١

الأثمان" (الخرزجي، ١٩٨٣: ج ٢، ٢٨١-٢٨٢).

وشهدت سنة ٧٨٦هـ/١٣٨٤م، حالة من الشدة والقحط، حتى أن الإنسان بالكاد يجد الطعام (الخرزجي، ١٩٨٣: ج ٢، ١٥٤)، وفي رمضان سنة ٧٩٣هـ/ أغسطس ١٣٩٠م تأخر الغيث عن مواعده، فحدثت "مجاعة عظيمة في التهائم" (الخرزجي، ١٩٨٣: ج ٢، ١٨٨)، وعانت مدينة عدن من أزمة حادة نتيجة شحة المياه؛ حتى بلغت الراوية عشرة دنانير ونصف في تلك السنة (غير معروف، ١٩٨٤: ١٠٨).

#### رابعاً- كارثة الحرائق

يعد الحريق من أخطر الكوارث التي أصابت العديد من المدن والقرى والأحياء والأسواق في القرن ٨هـ/ ١٤م، وألحقت بها أضراراً بالغة على كل النواحي البشرية والمادية والنفسية. وترجع أقدم إشارة تحدثت عن كارثة الحريق في القرن ٨هـ/ ١٤م، إلى ما ذكره الخرزجي، أن في ليلة الجمعة ١٧ رجب سنة ٧١٢هـ/ ١٨ نوفمبر ١٣١٢م "احترقت دار المرتبة بتعز" (الخرزجي، ١٩٨٣: ج ٢، ٣٢٩)، وأتى الحريق على "أشياء كثيرة" كانت فيها (ابن عبد المجيد، د. ت: ١٢٧).

وفي أواخر ربيع الآخر سنة ٧٢٥هـ/ مارس ١٣٣٥م، احترقت "القرية المسماة بالسلامة"<sup>(٣٥)</sup>، وأصاب الحريق العشرات من أهالي القرية" (الجندي، ١٩٩٥: ج ٢، ٥٨٩)، والظاهر أن أضرار هذا الحريق كانت كارثية، وظل صداه يتردد بين الناس، وهو ما يظهر من خلال اهتمام المصادر اللاحقة التي أشارت إليه؛ فصاحب العقود اللؤلؤية يشير إليه قائلاً: "احترقت قرية السلامة إحراقاً عظيماً" (الخرزجي، ١٩٨٣: ج ٢، ٣٤)، وفي السياق ذاته يتحدث صاحب تاريخ الدولة الرسولية عن الحريق الذي أصاب قرية السلامة، وإن كان قد جعل تاريخه بداية جمادي الآخرة سنة ٧٢٥هـ/ مايو ١٣٣٤م (غير معروف، ١٩٨٤، ٥٦)، وبدوره يشير صاحب تاريخ سادات اليمن إلى حريق قرية السلامة، وما نجم عنه من خسائر بشرية ومادية كبيرة (الأهدل، ٢٠١٢: ج ٢، ٥١١)، وتشير بعض الروايات إلى حريق كبير لحق الركبخانة<sup>(٣٦)</sup>، ليلة السبت ٢٠ جمادي الأولى سنة ٧٥٤هـ/ ٢٣ يونيو ١٣٥٣م، فأحرق "جميع ما كان فيها" (الخرزجي، ١٩٨٣: ج ٢، ٨٥).

وبعد هذا التاريخ تتوقف المصادر عن أية إشارة إلى كارثة الحريق لمدة تزيد عن ربع قرن، لتعاود بعدها الحديث عن حريق كبير أصاب مدينة زبيد ونواحيها؛ سنة ٧٨١هـ/ ١٣٧٩م، فحرق "السوق كله وما وازاه شرقاً وشمالاً وحرق في تلك المدة عدة أماكن من زبيد وغيرها" (الخرزجي، ١٩٨٣: ج ٢، ١٤٤).

لم يمر على تعافي مدينة زبيد من هذا الحريق وقت طويل؛ حتى فتك بها حريق آخر، سنة ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م، إذ "وقع الحريق ... ناحيه السوق وكان نحواً من الحريق الأول فقل من حرق المرة الأولى وسلم في الثانية وقل من سلم في المرة الأولى وسلم في الثانية فانضر به أناس كثيرون" (الخرزجي، ١٩٨٣: ج ٢، ١٤٧)، كما التهم مدينة عدن حريق كبير في ١٩ ربيع الآخر سنة ٧٨٨هـ/ ٣٠ مايو ١٣٨٦م، وصِفَ بأنه "كان حريقاً شديداً" (الخرزجي، ١٩٨٣:

ج ٢، ١٥٨).

واستمرت كارثة الحريق تلاحق بعض القرى اليمينية وأحيائها، فقد تحدثت المصادر (الخرزجي، ١٩٨٣: ج ٢، ١٦٠؛ غير معروف، ١٩٨٤: ٩٤) عن حريق شديد حصل يوم الـ ١٧ من ذي القعدة سنة ٧٨٨هـ/ ١٠ ديسمبر ١٣٨٦م في حي "الملاح الأسفل"<sup>(٣٧)</sup>، كما تعرضت إحدى نواحي مدينة زبيد وهي "ناحية متاجر حسان" لحريق كبير في التاسع من جماد الآخر سنة ٧٨٩هـ/ ٢٧ يونيو ١٣٨٧م (الخرزجي، ١٩٨٣: ج ٢، ١٦٣)، وتجدر الإشارة إلى أن هذه السنة شهدت نيراناً متقدة في جهة الساحل "كانت لا تمر على شيء إلا أحرقتة"<sup>(٣٨)</sup>.

وشهدت سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م حرائق في أماكن عدة، منها حي الملاح الذي سبق ونشِب فيه حريق كبير قبل عامين من هذا التاريخ، حيث أشارت المصادر (غير معروف، ١٩٨٤: ٩٥-٩٦؛ الخرزجي، ١٩٨٣: ج ٢، ١٦٥)، إلى تعرض "طائفة من قرية الملاح بزبيد" لحريق شديد ليلة ١٥ ربيع الآخر سنة ٧٩٠هـ/ ٢٣ أبريل ١٣٨٨م.

ولم تمر فترة طويلة حتى تعرضت زبيد وأحيائها لحريق كبير، فقد ذكر الخرزجي أن في يوم الأربعاء ٢١ جماد الآخرة سنة ٧٩١هـ/ ١٧ يونيو ١٣٨٩م "وقع الحريق في النويدة"<sup>(٣٩)</sup> آخر النهار المذكور فطارت الرياح بالنار إلى زبيد فحرق من باب سهام إلى باب الشبارق. وكان يوماً عظيماً ولم تزل النار تشتعل إلى آخر الليل من ليلة الخميس" (الخرزجي، ١٩٨٣: ج ٢، ١٧٤)، وقد أشار المؤلف غير معروف إلى حريق النويدة، وأنه "طار شيء من النار إلى زبيد فحرق زبيد من باب سهام إلى بيت الطواشي مرجان"<sup>(٤٠)</sup>.

وفي يوم عيد الأضحى سنة ٧٩٢هـ/ ١٩ نوفمبر ١٣٩٠م التهم الحريق "ناحية الجزرة" (الخرزجي، ١٩٨٣: ج ٢، ١٨٢)، وبعد عامين تعرضت مدينة زبيد لحريق انطلقت شرارته من ناحية الجزرة؛ إذ تذكر بعض الروايات أن في تاريخ ١٢ ربيع الأول سنة ٧٩٤هـ/ ٧ مارس ١٣٩٢م "حصل حريق في زبيد وكان ابتداءه من ناحية الجزرة فأخذ شرقاً وشمالاً"، (الخرزجي، ١٩٨٣: ج ٢، ١٩١)، وتجدر الإشارة إلى أنه في ذات التاريخ أيضاً تعرضت مدينة تعز ونواحيها لبعض كوارث الحريق (الخرزجي، ١٩٨٣: ج ٢، ١٩١).

واستمرت كارثة الحرائق تطال مدينة زبيد وأسواقها وقراها، ففي نهار الأربعاء السابع من رمضان سنة ٧٩٥هـ/ ١٧ يوليو ١٣٩٣م "حصل حريق عظيم في زبيد من عند الجامع المبارك إلى أن اتصل إلى خلف بيت الوزير ثم اتصل العلم أن الحريق اتصل في أكثر القرى من وادي زبيد وفي غيره" (غير معروف، ١٩٨٤: ١١٨)، وقد ذكر الخرزجي هذا الحريق وجعل تاريخه السادس من رمضان، وقال ما نصه: "وفي يوم الأربعاء السادس من رمضان وقع في زبيد حريق عظيم وكان ابتداءه من قبل الجامع فبلغ إلى الخان ثم إلى سوق المعاصر... وكان يوماً عظيماً" (الخرزجي، ١٩٨٣: ج ٢، ٢٠٣).

وبعد أربع سنوات، وفي تاريخ ٨ جمادى الآخرة سنة ٧٩٩هـ/ ٩ مارس ١٣٩٧م، التهم حريق كبير قرية كاملة من قرى وادي زبيد

الناس أحياناً من بعض التقلبات المناخية كارتفاع درجة الحرارة ولاسيما في مناطق تهامة الساحلية<sup>(٢٤)</sup>، فقد ذكرت بعض المصادر في هذا الشأن تعرض مدينة زبيد لموجة حر شديد سنة ٧٨٩هـ/١٣٨٧م "وكادت الناس تهلك من ذلك" (غير معروف، ١٩٨٤: ٩٥)، ومن الكوارث الطبيعية الأخرى التي تعرضت لها البلاد أحياناً، العواصف الترابية، وانتشار غبار كثيف أتلّف بعض المحصولات الزراعية؛ ففي جماد الآخرة سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٣م / مايو ١٣٩٣م، اجتاح وادي زبيد غبار كثيف "حتى امتلئ الوادي وفاض" بالغبار والتراب فطمر الآلاف من أعواد النخل (غير معروف، ١٩٨٤: ١١٧).

#### ثامناً- كارثة الزلازل

من خلال استعراض المصادر التي بين أيدينا تبين أن الزلازل والرجفات ضربت مناطق متفرقة من اليمن في القرن ٨هـ / ١٤م، وكانت آثارها كارثية.

ففي منتصف شعبان سنة ٧٨٩هـ/ ٣١ أغسطس ١٣٨٧م؛ حصلت "في نواحي عدن زلازل شديدة" (الخرزجي، ١٩٨٣: ج٢، ١٦٣)، واستمرت أياماً سقط خلالها "بعض دور عدن"<sup>(٢٥)</sup>، وبعد ذلك بثلاث سنوات وتحديداً في ليلة الاثنين التاسع من شوال ٧٩٢هـ/ ٢٠ سبتمبر ١٣٩٠م "وقعت هدة عظيمة"<sup>(٢٦)</sup>، حتى خيل للبعض أن منازلهم قد انهدمت لشدتها، وتعرضت موزع<sup>(٢٧)</sup> ونواحيها لرجفات عدة سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٤م، حتى أنها بلغت "أربعين رجفة في يوم واحد"<sup>(٢٨)</sup>.

#### تاسعاً- كارثة الهدم

ومن الكوارث التي شهدتها المجتمع اليمني في القرن ٨هـ / ١٤م- وإن كانت نادرة- "كارثة الهدم"؛ فقد أوردت الروايات تهدم جزء من حصن تعز-من نواحي السنبل- على جماعة من الناس، في أواسط شهر جمادى الآخرة سنة ٧٩٤هـ/ مايو ١٣٩٣م؛ مما أدى إلى وفاة اثنين منهم (الخرزجي، ١٩٨٣: ج٢، ١٩٣).

#### المحور الثاني: آثار الكوارث الطبيعية على المجتمع

استناداً إلى الإشارات المصدرية التي عالجت الكوارث الطبيعية في المحور السابق، سنقف في هذا المحور على أهم الآثار التي ترتبت على تلك الكوارث، والأضرار التي أصابت المجتمع اليمني على جميع المستويات الاقتصادية، والاجتماعية، والعمرانية، والديموغرافية، والنفسية، وما الموقف الرسمي من تلك الكوارث.

#### أولاً- الآثار الاقتصادية

مما لا شك فيه أن الوضع الاقتصادي في اليمن قد تضرر كثيراً بفعل الكوارث الطبيعية التي حلت بالبلاد، ولأن اقتصاد الناس حينها كان يعتمد بشكل رئيسي على الزراعة والثروة الحيوانية والتجارة، فإن هذه الأنشطة قد تضررت كثيراً بسبب تلك الكوارث، ويمكن استعراض أبرز الآثار التي لحقت بتلك الأنشطة على النحو التالي:

وهي "قرية الحمى" (الخرزجي، ١٩٨٣: ج٢، ٢٣٧)، وبعد شهر وبضعة أيام وتحديداً يوم ١٢ رجب سنة ٧٩٩هـ/ أبريل ١٣٩٧م؛ "وقع حريق في ناحية المربع من زبيد أخذ من سوق المربع إلى مسجد نوفلة" (الخرزجي، ١٩٨٣: ج٢، ٢٣٨)، وفي أول يوم من شوال (عيد الفطر) سنة ٧٩٩هـ/ ٢٨ يونيو ١٣٩٧م "حرق مدينة فحال<sup>(٢٩)</sup> حريقاً شديداً" (الخرزجي، ١٩٨٣: ج٢، ٢٣٩).

#### خامساً- كارثة الأعاصير والغرق

يلاحظ من خلال الوقوف على المصادر التاريخية وكتب الطبقات والتراجم، أن هناك كوارث أخرى ألحقت أضراراً كبيرةً بالناس وممتلكاتهم، جزء منها كان مرافقاً للكوارث التي سبق حديثنا عنها، والجزء الآخر يعد نتاجاً لها.

ففي أوائل شهر رجب سنة ٧٧٧هـ/ نوفمبر ١٣٧٥م، هبّ على تهامة وأعمالها إعصارٌ رياح عاتية أسهم حسب بعض الروايات (غير معروف، ١٩٨٤: ٧٦) في تفريق وتشنيت جيش الإمام صلاح الدين، وحصدت بحدود ١٣٠٠ رجل من أعيان عسكره ومقدميه وجنده<sup>(٣٠)</sup>، ويذكر الخرزجي أن يوم ١٦ جماد الآخرة سنة ٧٩٧هـ/ ٨ أبريل ١٣٩٥م "كان يوماً شديداً الرياح" (الخرزجي، ١٩٨٣: ج٢، ٢٢٥)، لدرجة أنها حولت مسار بعض المغادرين من اليمن بحرًا "وألقتهم في ساحل الحديدية"<sup>(٣١)</sup>.

وبالنسبة لكارثة الغرق؛ تعود أقدم إشارة وردت حول هذه الكارثة إلى سنة ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م، فقد ذكرت المصادر أن مركباً غرق في هذه السنة؛ بعد مغادرته مدينة عدن باتجاه الحجاز، وكان من ضمن الذين لقوا حتفهم غرقاً في ذلك المركب الفقيه أبو الحسن علي بن عثمان الأشبهي (الجندي، ١٩٩٥: ج٢، ١٤٤؛ الخرزجي، ١٩٨٣: ج١، ٣٠٩-٣١٠)، وفي رمضان سنة ٧١٨هـ/ أكتوبر ١٣١٨م توفي غرقاً في البحر الفقيه أبو عبدالله يحيى بن محمد بن يحيى بن أبي الرجا بن الجنان بن أبي القاسم الحميري؛ وكان قاصدا حج بيت الله الحرام (الخرزجي، ١٩٨٣: ج١، ٣٥١).

وتستمر كارثة الغرق بحصد أرواح الناس، فقد ذكر الخرزجي أن رياحاً شديدة هبت على مناطق تهامة يوم ١٤ ذي القعدة سنة ٧٩٩هـ/ ٩ أغسطس ١٣٩٧م، فألحقت أضراراً بالغة بالسفن البحرية "وغرق في ذلك خمس سفائن من سفن الحجاج" (الخرزجي، ١٩٨٣: ج١، ٢٢٨).

#### سادساً- كارثة انتشار الجراد

ظهر في بعض السنوات الجراد الكثيف، الذي التهم المحاصيل الزراعية ودمر اقتصاد الناس، فقد أشارت بعض الروايات إلى تعرض اليمن سنة ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م لجائحة الجراد وانتشاره بشكل كثيف؛ حتى أنه أتى على "معظم زرع البلاد وطائفة من نخل زبيد" (الخرزجي، ١٩٨٣: ج٢، ١٥٦)، وقبل نهاية القرن ٨هـ/ ١٤م، وتحديداً سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م تعرضت البلاد لـ "جراد عظيم فاتلف شيئاً من الزراعة" (الخرزجي، ١٩٨٣: ج٢، ٢٣٤).

سابعاً- كارثة ارتفاع درجة الحرارة والعواصف الترابية  
توالت الكوارث على المجتمع اليمني في القرن ٨هـ / ١٤م، إذ عانى

## ١- القطاع الزراعي والفلاحي:

تعرض القطاع الزراعي والفلاحي لأضرار جسيمة نتيجة الكوارث الطبيعية، ومن أهم الأضرار التي أصابت هذا القطاع:

أ- جرفٌ كثيرٌ من الأراضي الزراعية نتيجة تدفق السيول، فقد جرف سيل المسلب سنة ٧٤٣هـ/ ١٣٤٣م التربة من كل المناطق التي مر بها (الوصابي، ١٩٩٩: ١١٩)، ولحق الخراب "بستان المجلية" في مدينة تعز، إثر السيل المتدفق على المدينة سنة ٧٦٧هـ/ ١٣٦٦م (الخرزجي، ١٩٨٣: ج٢، ١١٧).

ب. إتلاف العديد من المحصولات الزراعية، فقد تسبب جريان وادي زبيد سنتي (٧٩٠هـ/ ١٣٨٧م، و٧٩٥هـ/ ١٠مايو ١٣٩٣) إلى الإجهاد على محصول النخل في "الجحف والمغرس"<sup>(٣٩)</sup> وأتلف أعوادًا كثيرة من النخيل في معظم الأماكن التي مرَّ عليها (غير معروف، ١٩٨٤: ١٠٩؛ الخرزجي، ١٩٨٣: ج٢، ١٦٥، ٢٠٢).

ت. طُمِر كثيرٌ من مزارع النخيل بفعل موجات الغبار الكثيف، الذي خيم على زبيد وواديها "وأخذ قدر ألفي عود نخل" (غير معروف، ١٩٨٤: ١١٧).

ث. تضرر كثيرٌ من العاملين في القطاع الزراعي جراء ارتفاع الأسعار، وانعدام الطعام سنة ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م (الخرزجي، ١٩٨٣، ج٢، ١٥٤).

ج. تعرض المزارعين في اليمن إلى نكبة زراعية في سنة ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م، بفعل "ظهور جراد كثير" أدى إلى إتلاف "معظم زرع البلاد وطائفة من نخل زبيد" (الخرزجي، ١٩٨٣: ج٢، ١٥٦)، وتكرر غزو الجراد لمناطق تهامة سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م، فأتلف جزءاً "من الزراعة" (الخرزجي، ١٩٨٣: ج٢، ٢٤٣).

ح. ارتفاع باهضٌ للأسعار وانعدام السلع الغذائية الأساسية بسبب القحط والجذب الذي ضرب اليمن سنتي ٧٠١-٧٠٢هـ/ ١٣٠١-١٣٠٢م؛ "حتى بيعت القربة بعشرة دراهم، والزيدى الدقيق بعشرة دراهم" (ابن عبد المجيد، د.ت: ١١٥)، وبلغت الأسعار ذروتها سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م فوصل قيمة الزيدى في ورور<sup>(٤٠)</sup> "أربعة دنانير وأكثر من ذلك" (ابن عبد المجيد، د.ت: ١١٨)، كما شهد شهر رمضان سنة ٧٩٣هـ/ أغسطس ١٣٩١م، مجاعة عظيمة في التهائم، فارتفع السعر "وابتاع مد الطعام بنيف وتسعين دينار. وابتاع السمن في أيام عيد الفطر كل أربعين قفلة بدرهم" (الخرزجي، ١٩٨٣: ج٢، ١٨٨).

## ٢- القطاع الحيواني:

تعرضت الثروة الحيوانية (جمال، خيول، حمير، أغنام، أبقار) بين الحين والآخر إلى أضرار كبيرة، وراح جزء منها بفعل الكوارث الطبيعية (سيول أمطار، حرائق، قحط، برق، زلازل... الخ)، ويمكن استعراض أبرز الأضرار التي أصابت القطاع الحيواني في اليمن على النحو التالي:

أ. نفوق كثيرٌ من البهائم والدواب جراء السيول المندفعة من وادي زبيد سنتي ٧٤٣هـ/ ١٣٤٣م، و٧٩٠هـ/ ١٣٨٧م (ابن الديبع، ٢٠٠٦: ٩١؛ الوصابي، ١٩٩٩: ١١٩؛ الخرزجي، ١٩٨٣: ج٢، ١٦٥).

ب. هلاك الجمال في القوافل التجارية بسبب جرف السيول الهادرة لها، كما حدث في "عقبة وادي نخل"، في ذي القعدة سنة ٧٩٩هـ/ ٣٠ يوليو ١٣٩٧م (غير معروف، ١٩٨٤: ١٢٩؛ الخرزجي، ١٩٨٣: ج٢، ٢٣٩).

ت. هلاك أصناف من الدواب والجمال والبهائم، كما حدث في حريق "قرية السلامة" سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م، (الخرزجي، ١٩٨٣: ج٢، ٣٤)، وفي حريق الملاح الأسفل في ذي القعدة سنة ٧٨٨هـ/ ديسمبر ١٣٨٦م (غير معروف، ١٩٨٤: ٩٤)، وفي التهائم سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩١م بسبب الجذب وانقطاع الغيث (الخرزجي، ١٩٨٣: ج٢، ١٨٨)، وكما حدث أيضاً في قرية أدملة - من قرى مور- التي ضربها برقٌ في شعبان سنة ٧٩٨هـ/ مايو ١٣٩٦م، قضى على "البقر والغنم والحمير والجمال" وكل دواب القرية (الخرزجي، ١٩٨٣: ج٢، ٢٣٦).

## ٣- القطاع التجاري والحرفي:

تعرضت التجارة والقطاع التجاري والمعيشي إلى هزات كبيرة بفعل الكوارث الطبيعية التي أصابت البلاد طوال القرن ٨ هـ/ ١٤م، إضافة إلى الغلاء الفظيع الذي انتشر بفعل الضرر الكبير الذي أصاب القطاع التجاري جراء الكوارث الطبيعية، والمتتبع للمصادر التاريخية يلاحظ أن التجارة والقوافل التجارية والأسواق قد تأثرت ونالت الكثير من النكبات والخسائر جراء تلك الكوارث، ويمكن الحديث عن بعض الشواهد التي تؤكد المعاناة الكبيرة للقطاع التجاري والحرفي للناس الناتج عن الكوارث الطبيعية:

أ. فقدان أموال لا حصر لها، مثل ما حصل لـ "قرية السلامة" جراء حريق سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٣٤م، والذي أتى على أموال الناس فيها (الخرزجي، ١٩٨٣: ج٢، ٣٤).

ب. حدوث نكبات عظيمة؛ كالتى أصابت قافلة "في وادي نخل" في ذي القعدة سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م، إذ جرف السيل الهادر "الجمال وما عليها من الحمل والركبان" (الخرزجي، ١٩٨٣: ج٢، ٢٣٩-٢٤٠)، "وفاتت أموال كثيرة" كانت تقلها تلك القافلة التجارية (غير معروف، ١٩٨٤: ١٢٩).

ت. إتلاف كثيرٌ من الأموال، كالذي حدث في "مدينة عدن" إثر الحريق الذي أصابها في ربيع الأول سنة ٧٨٨هـ/ أبريل ١٣٨٦م، وكما حدث لقرية الملاح بضواحي زبيد، التي تلف فيها مال كثير "من الصامت والناطق" جراء حريق ذي القعدة سنة ٧٨٨هـ/ نوفمبر ١٣٨٦م، كما تلفت "أموال عظيمة وطعام كثير" في مدينة زبيد ونواحيها بسبب حريق النويدرة يوم ٢١ جمادى الآخرة سنة ٧٩١هـ/ ١٧ يونيو ١٣٨٩م، وضاعت "أموال جمّة" في الحريق الذي اشتعل شمال وشرق ناحية الجزرة في ربيع الأول سنة ٧٩٤هـ/ فبراير ١٣٩٢م (الخرزجي، ١٩٨٣: ج٢، ١٦٠، ١٥٨، ١٧٤-١٨٢-١٩١)،

ث. حريق كثيرٌ من الأسواق التجارية، كالحريق الذي أصاب مدينة زبيد سنتي ٧٨١هـ/ ١٣٧٩م، و٧٨٣هـ/ ١٣٨١م، فالتهم "السوق كله وما وازاه شرقاً وشمالاً"، وتضررت مصالح عددٍ كبيرٍ من الناس، كما أصيب "جانب من سوق الجزرة" في حريق المجلد (١٢) العدد (٣)، ديسمبر ٢٠٢١.

السييل (الجندي، ١٩٩٥: ج٢، ٤٥٢)، وتسبب الحريق الذي أصاب مدينة فحال يوم عيد الفطر سنة ٧٩٩هـ / ٢٨ يونيو ١٣٩٧م، في إحراق أبناء الحاكم الشرعي للمدينة "القاضي عفيف الدين عبدالله بن محمد بن موسى الذوائلي وجاريتته" (الخرجي، ١٩٨٣: ج٢، ٢٣٩).

ث. انتشار المجاعة في التهائم بسبب الجذب وانقطاع الأمطار أواخر سنة ٧٩٣هـ / ١٣٩١م، مما أدى إلى تدهور حياة كثير من الناس (الخرجي، ١٩٨٣: ج٢، ١٨٨).

ج. اضطرت بعض المزارعين في البوادي إلى الفرار من حقولهم؛ لهول الجراد الكثيف الذي انتشر سنة ٧٩٨هـ / ١٣٩٦م، وعدم قدرتهم على مكافحتها (الخرجي، ١٩٨٣: ج٢، ٢٣٤).

ح. الأضرار النفسية والجسدية وشيوع الهلع والخوف بين الناس، فحريق النويدرة سنة ٧٩١هـ / ١٣٨٨م، وانتقاله إلى زيد، واشتعال النار "من باب سهام إلى باب الشبارق"، سبب خوفاً وهلعاً بين الناس، عبر عنه بعض المؤرخين بالقول "وكان يوماً عظيماً" (الخرجي، ١٩٨٣: ج٢، ١٧٤)، وآخرون بقولهم "وكانت ليلة وحشية" (غير معروف، ١٩٨٤: ١٠٠)، وتسبب البرق الذي ضرب مدينة تعز ونواحيها يوم ١٩ شوال ٧٩٦هـ / ١٧ أغسطس ١٣٩٤م، في "إصابة جماعة من الناس" (الخرجي، ١٩٨٣: ج٢، ٢١٩)، كما تعرض اثنان من سكان قرية الدملة في وادي مور إلى حروق بليغة أصابتهما جراء البرق الذي أصاب القرية في شعبان سنة ٧٩٨هـ / مايو ١٣٩٦م، وبفعل التغيرات المناخية وارتفاع درجة الحرارة في بعض الأوقات، تعرض الناس في تهامة لـ "حوم عظيم وحر شديد حتى اتصل إلى زيد وكادت الناس تهلك من ذلك" (الخرجي، ١٩٨٣: ج٢، ٢٣٦).

#### ثالثاً- الآثار العمرانية:

من تتبنا للمصادر التاريخية وكتب الطبقات والتراجم، نلاحظ أن الكوارث الطبيعية (سيول الأمطار والحرائق والزلازل... الخ) قد تسببت في خسائر وأضرار كبيرة في الجانب العمراني، ويمكن عرض أبرز تلك الأضرار على النحو التالي:

أ. تهدم بيوت كثير من الناس في مدينة عدن سنة ٧٠٤هـ / ١٣٠٤م، بسبب سيل جارٍ أخذ تلك البيوت حتى وصلها البحر (الجندي، ١٩٩٥: ج٢، ٤٥٢).

ب. هُدمت "بيوت كثيره على ساكنيها" في مدينة زبيد جراء مطر الأربعاء ٥ رمضان سنة ٧٦٠هـ / ٣١ يوليو ١٣٥٩م، حتى أنه لم يبق بيتاً "من بيوت المدينة صغيراً كان أو كبيراً إلا ما تشعت بعضه ومنها ما استولى عليه الخراب وهو كثير أيضاً" (الخرجي، ١٩٨٣: ج٢، ٩٥؛ ابن الديبع، ٢٠٠٦: ٨٨)

ت. دُمّرت العديد من قصور مدينة تعز ومنازلها إثر المطر الهائل على المدينة سنة ٧٦٧هـ / ١٣٦٦م (الخرجي، ١٩٨٣: ج٢، ١١٧).

ث. تسببت السيول الجارفة التي دفع بها وادي زبيد سنة ٧٩٥هـ / ١٣٩٣م، إلى خراب هائل طال "جانباً من محل ماتع وشيئاً من محل طرقوه وشيئاً من محل حريرة<sup>(٤)</sup>... وبيوتاً

يوم عيد الأضحى سنة ٧٩٢هـ / ١٩ نوفمبر ١٣٩٠م، وحرقت أجزاء كبيرة من "سوق المربع" - في ناحية المربع من زيد- في ١٢ رجب سنة ٧٩٩هـ / ١١ أبريل ١٣٩٧م، وتضرر أهالي تلك النواحي "ضرراً شديداً" (الخرجي، ١٩٨٣: ج٢، ١٤٧-١٨٢-٢٣٨).

وتجدر الإشارة إلى أن كارثة الحريق التي أصابت اليمن في القرن ٨هـ / ١٤م لم تقتصر على الأحياء والقرى والأسواق والأماكن الشعبية فحسب، بل شمل بعض المؤسسات الرسمية للدولة الرسولية، ففي هذا الصدد تذكر الروايات اشتعال حريق في دار المرتبة بتعز في رجب سنة ٧١٢هـ / نوفمبر ١٣١٢م مما أدى إلى إتلاف كثير "من الأثاث والفروش والكتب النفيسة" (الخرجي، ١٩٨٣: ج١، ٣٢٩؛ ابن عبدالمجيد، د. ت: ١٢٧)، كما احترقت الركبانة في سنة ٧٥٤هـ / ١٣٥٣م، فتلقت "ما كان فيها من ذهب وفضة وجواهر وسروج" قُدرت قيمتها بما يساوي "ثلاثمائة ألف دينار" (الخرجي، ١٩٨٣: ج٢، ٨٥)، وفي السياق ذاته "وقع حريق في دار السلطنة" في جمادى الآخرة سنة ٧٩٠هـ / يونيو ١٣٨٨م، أتلقت مواضع كثيرة" فيها. (الخرجي، ١٩٨٣: ج٢، ١٦٧).

#### ثانياً- الآثار الاجتماعية والنفسية

تضرر كثير من الناس على المستوى الاجتماعي والنفسي نتيجة الكوارث الطبيعية التي حلت بالبلاد، فالجذب والغلاء وكوارث سيول الأمطار والحرائق والزلازل كل ذلك أحدث هزة اجتماعية ونفسية كبيرة للمجتمع اليمني، اضطرت على إثرها حياة الناس، وانتشر الفقر والمجاعات في المدن والبوادي، وتشردت الأسر واضطر الكثير إلى النزوح إلى أماكن أخرى، ولا سيما المعدمين وضعفاء الناس، وفارق بعضهم الحياة نتيجة تلك الكوارث.

وبالعودة إلى المصادر التاريخية المتوافرة لدينا نجد أن المجتمع اليمني مرَّ بشدة كبيرة، منذ دخول القرن ٨هـ / ١٤م، يمكن التطرق إلى بعض ملامحها على النحو التالي:

أ. حدوث مجاعة شديدة جراء القحط والغلاء الذي ضرب اليمن سنتي ٧٠١-٧٠٢هـ / ١٣٠١-١٣٠٢م (الأهدل، ٢٠١٢: ج٢، ٣٥٦)، وباع الناس الأرض "بأرخص الأثمان" بسبب القحط والشدة وغلاء الأسعار، بل تذكر بعض الروايات أن بعض الناس "ماتوا جوعاً" جراء تلك المجاعة (الخرجي، ١٩٨٣: ج١، ٢٨٢).

ب. انتشار الفقر بين جموع كبيرة من الناس، كالذي حدث لأهالي قرية المسلب بسبب الأضرار التي لحقتهم جراء كارثة السيول التي دفع بها وادي زبيد على القرية سنة ٧٤٣هـ / ١٣٤٣م (الخرجي، ١٩٨٣: ج٢، ٧٠).

ت. تعرّض بعض كبار رجال الدولة لمخاطر كادت تؤدي بحياتهم، كما حدث لأبي العتيق أبو بكر بن أحمد بن عمر بن الأديب قاضي عدن وأبين، حينما حاصر السيل المتدفق على مدينة عدن سنة ٧٠٤هـ / ١٣٠٤م منزله وكاد يقضي على حياته، لولا أن تم إنقاذه عبر استعمال سلم نزل عليه من مسكنه الذي غمره

كثيرة" (الخرزجي، ١٩٨٣: ج ٢، ٢٠٢).. تهدمت في مدينة تعز ونواحيها بيوت كثيرة وعدد من الدكاكين بفعل الأمطار الغزيرة التي هطلت على المدينة في ذي القعدة سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م<sup>(٤٦)</sup>.

ح. إتلاف وتدمير كثير من الدور والمساكن، بفعل الحرائق؛ مثل ما حدث في مدينة عدن في ١٩ ربيع الأول سنة ٧٨٨هـ/ ٣٠ أبريل ١٣٨٦م، (الخرزجي، ١٩٨٣: ج ٢، ١٥٨)، وكالذي أصاب نواحي المجزرة سنتي ٧٩٢هـ/ ١٣٩٠م، و ٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م من حرق لـ"بيوت كثيرة"، حتى أصبح كثير من الناس بلا مأوى (الخرزجي، ١٩٨٣: ج ٢، ١٨٢-١٩١)، وما أصاب قرية "الحمى" - من قرى وادي زبيد- يوم الخميس ٨ جمادى الآخرة سنة ٧٩٩هـ/ ٩ مارس ١٣٩٧م، التي احترقت حتى أنه لم يبق فيها شيء من المساكن" (الخرزجي، ١٩٨٣: ج ٢، ٢٣٧).

رابعاً- الآثار الديموغرافية

كما هو الحال غالباً في كثير من مصادر التاريخ التي لم تقم بإحصاء دقيق لأعداد ضحايا الكوارث الطبيعية؛ ذهبت المصادر التاريخية اليمنية إلى التعميم بالقول: (ومات طائفة من الناس، وذهب عالم كثير، جمع عظيم...).

ومن خلال الوقوف على الكوارث الطبيعية المتعددة التي ضربت مناطق متعددة ومدناً مختلفة في اليمن في القرن ٨هـ / ١٤م؛ يُلاحظ أنها قد أثرت على الوضع الديموغرافي وأحدثت فيه نزيفاً كبيراً، فضلاً عن الهجرات والنزوح جراء تلك الكوارث. ويمكن عرض أبرز الآثار الديموغرافية التي تسببت فيها الكوارث الطبيعية في القرن ٨هـ / ١٤م على النحو التالي:

أ. كثرة الضحايا من الناس في مدينة عدن جراء السيل الذي غمر المدينة سنة ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م، والذي جرف "عالمًا كثيرًا وألقاهم البحر"<sup>(٤٤)</sup>.

ب. هلاك جموع من أهل قرية المسلب وصل تعدادهم بحدود "مائة وخمسين نفساً"، جراء السيول التي تجمعت بوادي زبيد في ١٩ صفر سنة ٧٤٣هـ/ ٢٥ مايو ١٣٤٣م (الخرزجي، ١٩٨٣، ج ٢، ص ٧٠، ابن الديبع، ٢٠٠٦، ص ٩١).

ت. بلغ عدد ضحايا مطر يوم الأربعاء ٥ رمضان سنة ٧٦٠هـ/ ٣١ يوليو ١٣٥٩م، في مدينة زبيد، بحدود "ثمانين إنساناً"<sup>(٤٥)</sup>، بل قيل إن عددهم وصل إلى "مائة إنسان" (ابن الديبع، ٢٠٠٦، ص ٨٨).

ث. تشرد كثير من الناس من قراهم والنزوح إلى مواضع أخرى؛ بسبب الشدة التي مرت بها اليمن سنتي ٧٠١-٧٠٢هـ/ ١٣٠١-١٣٠٢م، بل إن جموعاً من الناس "ماتوا جوعاً" إثر تلك الشدة (الخرزجي، ١٩٨٣، ج ١، ص ٢٨٢)، ونزح كثير من أهالي قرية المسلب إلى مواضع أخرى عقب سيل سنة ٧٤٣هـ/ ١٣٤٣م الذي اجتاح قريتهم (ابن عبد المجيد، بدون تاريخ طبع)، ص ١١٥-١١٨، (الخرزجي، ١٩٨٣، ج ٢، ص ٧٠).

ج. مات كثير من الناس سحبهم السيل من البيوت في مدينة تعز في رمضان ٧٦٧هـ/ مايو ١٣٦٦م (الخرزجي، ١٩٨٣، ج ٢،

ص ١١٧)، كما سال وادي المخيشيب" بطائفة من الناس<sup>(٤٦)</sup>" سنة ٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م، وغرق "جمع عظيم من النساء والرجال" من بلاد المعازبة سنة ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م، لجأوا إلى البحر؛ فراراً من عسكر السلطان الأفضل (المؤلف غير معروف، ١٩٨٤، ص ٩٣)، كما أتى السيل الذي دفع به وادي زبيد في ٢١ صفر سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٧م على بعض أهالي محل ماتع ومحل حرين والجحوف (الخرزجي، ١٩٨٣، ج ٢، ص ١٦٥).

ح. فناء جموع من الناس في تعز والمحالب ونواحيهما إثر نزلات بردية وسعالٍ حاد، انتشر بين الناس عقب أمطار سنة ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م (المؤلف غير معروف، ١٩٨٤، ص ١١١).

خ. وفاة شخصين في تهدم جزء من حصن تعز في أواسط جماد الآخر سنة ٧٩٤هـ/ مايو ١٣٩٣م، (الخرزجي، ١٩٨٣، ج ٢، ص ١٩٣).

د. وفاة عدد من الناس بسبب العواصف الرعدية والبروق، فالبرق الذي ضرب ناحية صمع من وادي رمع في شعبان سنة ٧٨٩هـ/ أغسطس ١٣٨٧م أودى بحياة ثلاثة أشخاص (الخرزجي، ١٩٨٣، ج ٢، ص ١٦٣)، وتسبب البرق الذي ضرب مدينة تعز ونواحيها يوم ١٩ شوال ٧٩٦هـ/ ١٧ أغسطس ١٣٩٤م، في إصابة جماعة من الناس، مات أربعة منهم في الحال "أحدهم ضربه البرق أثناء أذانه للصلاة فلم يمهله أن يتم الأذان" (الخرزجي، ١٩٨٣، ج ٢، ص ٢١٩)، وفي السياق ذاته تشير بعض الروايات إلى موت "بعض الناس" جراء البرق الذي ضرب قرية الدملة -إحدى قرى وادي مور- في شعبان سنة ٧٩٨هـ/ مايو ١٣٩٦م. (الخرزجي، ١٩٨٣، ج ٢، ص ٢٣٦).

ذ. غرق خمس "من سفن الحجاج على ساحل المخلاف السليماني"، جراء الأمطار الغزيرة والأعاصير الشديدة التي هبت على منطقة التهائم يوم الإثنين ١٤ ذي القعدة سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م، (الخرزجي، ١٩٨٣، ج ٢، ص ٢٢٨)، كما تسبب إعصار رياح عاتية في تهامة وأعمالها في رجب سنة ٧٧٧هـ/ نوفمبر ١٣٧٥م، في تشتيت جيش الإمام صلاح الدين، وحصد من جنده بحدود الف وثلاثمائة حسب بعض الروايات (المؤلف غير معروف، ١٩٨٤، ص ٧٦).

ر. بلغ ضحايا سيل عقبة وادي نخل يوم ٤ ذي القعدة سنة ٧٩٩هـ/ ٣٠ يوليو ١٣٩٧م، حسب صاحب العقود اللؤلؤية "تسعة عشر نفساً... وقيل "خمسة وعشرين" (الخرزجي، ١٩٨٣، ج ٢، ص ٢٣٩-٢٤٠)، وأما المؤلف غير معروف فلم يحدد رقماً معيناً لضحايا ذلك السيل، واكتفى بالقول: "وهلك ناس كثير" (المؤلف غير معروف، ١٩٨٤، ص ١٢٩).

ز. هلاك جموع كبيرة من الناس بفعل كارثة الحرائق المتتالية على اليمن في القرن ٨هـ/ ١٤م، فقد لاقى العشرات حتفهم بسبب الحريق الذي ضرب قرية السلامة في ربيع الآخر سنة ٧٢٥هـ/ مارس ١٣٣٤م، ووصل عدد الضحايا أكثر "من خمسين نفساً" (الجندي، ١٩٩٥، ج ٢، ص ٥٨٩، الخرزجي، ١٩٨٣، ج ٢، ص ٣٤)، وكان حريق قرية الملاح الأسفل من زبيد في ذي القعدة سنة ٧٨٨هـ/ ديسمبر ١٣٨٦م، قد قضى على "جماعة

من الناس" (الخرزجي، ١٩٨٣، ج ٢، ص ١٦٠).

تلك -إذاً- أبرز الآثار الاقتصادية والاجتماعية والنفسية والعمرانية والديموغرافية التي سببتها الكوارث الطبيعية التي حدثت في عهد حكم الدولة الرسولية لليمن في القرن ٨هـ / ١٤م. ويبقى السؤال المطروح كيف تعاطت السلطات الرسمية للدولة الرسولية مع تلك الكوارث؟

خامساً: موقف السلطات الرسمية من الكوارث الطبيعية من خلال تتبعنا للمصادر التاريخية وكتب الطبقات والتراجم لم نجد أية إشارات تتحدث عن دور السلطات الرسمية للدولة الرسولية في التعاطي مع الكوارث الطبيعية التي ضربت اليمن في القرن ٨هـ / ١٤م، باستثناء إشارات يتيمة عند بعض المؤرخين، منها إشارة وردت عند الخرزجي يتحدث فيها عن محاولات للسلطان الأشرف "الثاني" (٧٧٨-٨٠٣هـ / ١٣٧٦-١٤٠٠م)، التدخل للحد من ارتفاع الأسعار سنة ٧٨٦هـ / ١٣٨٤م، وتحديد قيمة الزبدي بـ "خمسة درهم" من أجل "تنفيس السعر على الناس"، وتوفير الطعام، (الخرزجي، ١٩٨٣، ج ٢، ص ١٥٤).

والإشارة الأخرى وردت عند المؤلف غير معروف وهو يتحدث عن المطر الذي تعرضت له مدينة زبيد سنة ٧٨٨هـ / ١٣٨٦م، وما سببه من خراب لبنيان باب القرتب- أحد الأبواب الرئيسية لمدينة زبيد- يذكر فيها تحرك والي زبيد "الأمير عز الدين هبة بن محمد بن الفخر"، وسعيه في "طلب النجارين والحدادين والبنائين"، لإعادة بناء باب القرتب، وقد تكلفت جهوده في إصلاح خراب الباب في مدة استغرقت يومين في شهر رمضان سنة ٧٨٨هـ / سبتمبر ١٣٨٦م "المؤلف غير معروف، ١٩٨٤، ص ٩٣).

وتجدر الإشارة إلى أننا لم نعثر على أية إشارات مصدرية تتحدث عن تحركات شعبية لمجابهة تلك الكوارث والنوازل وما نتج عنها، وما تبدي لنا هو لجوء المجتمع إلى قراءة القرآن الكريم، والتضرع إلى الله برفع البلاء ودفع الضر، فقد أشارت بعض الروايات في هذا الشأن أن مدينة عدن عندما ضربتها عدة زلازل في شعبان سنة ٧٨٩هـ / ٣١ أغسطس ١٣٨٧م؛ توجه الناس " إلى تلاوة القرآن وقراءة البخاري من حديث رسول صلى الله عليه وسلم" (الخرزجي، ١٩٨٣، ج ٢، ص ١٦٣).

#### الخاتمة

تأسيساً على كل ما سبق من محاور البحث وفقراته المتعددة، توصلنا إلى ما يأتي:

أولاً- تعرض اليمن في القرن ٨هـ / ١٤م للعديد من الكوارث الطبيعية والنوازل، تنوعت بين سيول هادرة إثر سقوط أمطار غزيرة، وسنوات من الجذب والقحط والمجاعات، إضافة إلى الحرائق المتكررة، وحوادث الزلازل والهزات الأرضية العنيفة، فضلاً عن هبوب الرياح والعواصف الشديدة، وما نتج عنها من حوادث الغرق والبرق وغيرها من الكوارث.

ثانياً- تبين أن كارثة الأمطار المدمرة والسيول الناجمة عنها، كانت الأكثر ضرراً في اليمن في القرن ٨هـ / ١٤م، تليها كارثة الحرائق،

ثم بقية الكوارث بنسب متفاوتة.

ثالثاً- تسببت الكوارث الطبيعية التي تعرض لها اليمن في القرن ٨هـ / ١٤م في نتائج كارثية وسلبية على المجتمع اليمني على كل المستويات الاقتصادية والاجتماعية والنفسية والعمرانية والديموغرافية.

رابعاً- حازت مدينة زبيد ونواحيها في تهامة المرتبة الأولى من بين المناطق اليمنية في نسبة الخراب والدمار والأضرار جراء تلك الكوارث، تليها مدينة تعز ونواحيها، ثم مدينة عدن، فبقية مدن ومناطق اليمن.

خامساً- اتضح غياب الدور الرسمي وسليبيته في التعاطي مع تلك الكوارث سواء في مجابقتها، أو في محاولة التخفيف من نتائجها وآثارها على الناس، بينما اكتفى المجتمع والأهالي بالدعاء والتضرع إلى الله عقب كل كارثة من تلك الكوارث والنوازل.

#### هوامش البحث

(١) حكم الدولة الرسولية في القرن ٨هـ / ١٤م أربعة من سلاطين بني رسول، هم السلطان المؤيد داؤد (٦٩٦-٧٢١هـ / ١٢٩٦-١٣٢٠م)، ثم خلفه ابنه السلطان المجاهد علي؛ الذي بقى في الحكم إلى سنة ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م، ثم تولى ابنه الأفضل عباس الذي استمر بالحكم إلى سنة ٧٧٨هـ / ١٣٧٦م، ليخلفه نجله السلطان الأشرف "الثاني" الذي امتدت فترة حكمه إلى سنة ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م، وقد عرفت البلاد في عهد هؤلاء السلاطين استقرار سياسياً نسبياً، ونهضة عمرانية وتجارية وعلمية مشهودة، فضلاً عن العلاقات الخارجية الواسعة مع بلدان مصر والشام، وبلاد السودان والحبشة، وبلاد الهند وفارس والصين. للمزيد حول هذا الموضوع انظر: (الخرزجي، ١٩٨٣، ج ١، ص ٣١١، ٣١٣، ٣٣٩، ٣٤٢، ٣٥٤، ٣٥٨، ٣٥٩، الخرزجي، ١٩٨٣، ج ٢، ص ٥٧، ١٠١، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١١٧، ١٣٥، ١٣٦، ١٥٥، ١٥٨، ١٦٨، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٠٤، ٢٤٢، ٢٥٤، ٢٤٤، ابن الديبع، ٢٠٠٦، ص ٨٣، ٨٨، ٩١، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، هديل، ٢٠١٢، ص ٩٢-٩٨، الكامل، ٢٠١٧، ٢٦٥-٢٧٢).

(٢) انظر (عساج، ١٩٩٨، ص ٧٩-٩٤، اللهيبي، ٢٠٠٥، ص ٨٠-٩١).

(٣) عدن مدينة يمنية ساحلية، ومرفأً تاريخي مشهور، تتميز بحصانها الطبيعية، إذ يحيط بها جبل شمس من الشمال والغرب، وجبل صيرة من الجنوب الغربي، وما زالت إلى اليوم ميناءً مهمًا ورئيسياً للبلاد، ومن أثارها المشهورة إلى اليوم الصهاريج التي تخزن الماء النازل من جبالها، ومدينة عدن حالياً العاصمة الاقتصادية والتجارية للجمهورية اليمنية. انظر (الحموي، ٢٠٠٨، مج ٣، ص ٣٠٢، الحجري، ١٩٨٤، مج ٢، ص ٥٨٥، المقحفي، ١٩٨٨، ص ٤٣٢).

(٤) انظر (الوصابي، ١٩٩٩، ص ١١٩) الذي يجعل تاريخ ذلك السيل في صفر سنة ٧٤٤هـ / يونيو ١٣٤٣م.

(٥) قرية المسلب من قرى وادي زبيد، وتقع جنوب مدينة زبيد. انظر (الخرزجي، ٢٠٠٩، مج ٥، ص ٢٥٠٠).

يوم ونصف، وينسب إلى سهام بن سمان بن الغوث بن حمير، ويصب وادي سهام في البحر الأحمر جنوب الحديدة. انظر (الحموي، ٢٠٠٨، مج ٣، ص ٩٨، الحجري، ١٩٨٤، مج ٢، ص ٤٣٥-٤٣٦).

(١٢) يذكر صاحب تاريخ الدولة الرسولية في اليمن أن ذلك المطر كان فيه "حبٌ على صفة حب العنب أزرق بصفرة لا يكاد يلزم وعرفه كعرف الأشنان" انظر (المؤلف المجهول، ١٩٨٤، ص ٦٨-٦٩). والأشنان شجر ينبت في الأرض الرملية، ويستعمل هو أو رماده في غسل الثياب والأيدي. انظر (أنيس وآخرون، [د.ت.ط.]، ج ١، ص ١٩، مادة أشن).

(١٣) المعازبة من قبائل تهامة المشهورة، وتمتد مساكنهم ما بين وادي رمع ووادي دُوَال وما بين البحر الأحمر وجبال ريمة الأشباط، وأبرز مراكزهم منطقة بيت الفقيه- نسبة إلى الفقيه بن عجيل تـ٦٩٠هـ/١٢٩٠م، وقد عُرفت قبائل المعازبة بكثرة خروجها وتمردها ضد سلاطين بني رسول، وتجدر الإشارة إلى أن قبائل الزرانيق المشهورة اليوم في تهامة تُعد امتداداً وفرعاً لقبائل المعازبة. انظر (الحجري، ١٩٨٤، مج ١، ص ٣٩٤-٣٩٥، المقحفي، ١٩٨٨، ص ٦٠٦، هُدِيل، ٢٠١٢، ص ١٩٣).

(١٤) انظر (الخرزجي، ١٩٨٣، ج ٢، ص ١٦٣). ورمع وادٍ مشهور يُنسب إلى رمع بن عمرو بن الحارث ذو أصبح، يقع شمال مدينة زبيد، بين وادي زبيد ووادي سهام، ويصب في البحر الأحمر، وقيل إن رمع قرية الصحابي المشهور أبي موسى الأشعري. انظر (الحموي، ٢٠٠٨، مج ٢، ص ٤٢١، الحجري، ١٩٨٤، مج ١، ص ٣٣٧-٣٧١، المقحفي، ١٩٨٨، ص ٢٧٤).

(١٥) عُرف وادي زبيد بكثرة اندفاعه بالسيول، وهذا يرجع إلى تعدد فروعه وروافده التي تأتي من جهات متعددة منها، أودية بلاد يريم وجبال بعدان والمخادر وبلاد حبيش والعديين في إب، ثم أودية جنوب بلاد عتمة ومغرب عنس وشرقي وصاب، وتتجمع تلك الروافد في رأس وادي زبيد ومساقط جبل رأس، فيسقي بلاد زبيد، وينتهي مصيه في البحر الأحمر. انظر (الحجري، ١٩٨٤، مج ١، ص ٣٨٢، الوسي، ١٩٩١، ص ٣٨).

(١٦) بعدان مخلاف واسع في محافظة إب من ناحية الشرق، يتكون اليوم من عدة عزل منها: ريمان، ودلال والمنار، وسير، والعدارب وبنو منصور والصافية، وبنو منصور، وضابي، وجرائنة، ومن حصون بعدان التاريخية حصن حب، وهو من أشهر حصون اليمن وأمنعها. انظر (الحجري، ١٩٨٤، مج ٢، ص ٤٣-٤٦، المقحفي، ١٩٨٨، ص ٨١).

(١٧) هو الإمام الناصر صلاح الدين محمد بن المهدي علي بن محمد (٧٧٣-٧٩٣هـ/١٣٧١-١٣٩٠م) كان إمام الزيدية في عصره، وقد قام بعدة محاولات للسيطرة على زبيد ومناطق تهامة؛ لكنه أخفق في ذلك. انظر (ابن الديبع، ٢٠٠٦، ص ٩٣، هُدِيل، ٢٠١٢، ص ٣٦٣).

(٦) زبيد من مدن تهامة المشهورة، تقع جنوب غرب العاصمة صنعاء بحوالي ٢٢٣ كلم، وتنسب مدينة زبيد إلى زبيد بن ربيعة... بن يعرب بن قحطان، وارتبطت زبيد باسم واديها الذي يُعد من أشهر أودية اليمن، وكان يقال له الحصيب، ثم غلب عليه اسم وادي زبيد، وتقع مدينة زبيد في منتصفه، وتبعد عن البحر ٣٥ كلم، وعن الجبال ٢٠ كلم، وقد شهدت مدينة زبيد منذ اختطها محمد بن عبدالله بن زياد مؤسس الدولة الزيدية سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م- هناك من يرى أنها قديمة الاختطاط أزلية- نهضة علمية واقتصادية وعمرانية مشهودة، كما أن موقعها الاستراتيجي قد أهلها لتكون عاصمة لعدة دويلات حكمت اليمن في العصر الإسلامي الوسيط. انظر (الحموي، ٢٠٠٨، مج ٢، ص ٤٦٨، ابن الديبع، ٢٠٠٦، ص ٣٢-٣٥، الحجري، ١٩٨٤، مج ١، ص ٣٨٢، المقحفي، ١٩٨٨، ص ٢٨٦-٢٨٨، الحضرمي، ١٩٩٢، ص ٣٨٣-٣٩٧).

(٧) يشير المؤلف المجهول إلى مطر يوم الأربعاء وما أحدثه من خراب في زبيد، لكنه يجعل تاريخه في ١٨ رمضان، وليس في ٥ رمضان، والأمر ذاته نجده عند ابن الديبع الذي لم يفته الحديث عن مطر الأربعاء ٥ رمضان سنة ٧٦٠هـ/١٣٥٩م، على زبيد ونواحيها، وما نجم عنه من خراب وتهديم للمساكن. انظر (المؤلف المجهول، ١٩٨٤، ص ٦٢، ابن الديبع، ٢٠٠٦، ص ٨٨).

(٨) تقع مدينة تعز على سفح جبل صبر في مرتفعات اليمن الجنوبية، وتبعد عن صنعاء حوالي ٢٥٠ كلم جنوباً، ظهرت تعز على مسرح التاريخ في أواخر القرن السادس الهجري، وقيل أن القائد الأيوبي توران شاة كان أول من أطلق عليها اسم تعز سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م، وكانت التسمية محصورة على حصن أو قلعة القاهرة فقط، أما داخل المدينة وأحيائها فكانت تعرف باسم عدينة، ثم طغى اسم تعز لاحقاً على كل نواحي المدينة، لتصبح العاصمة الرسمية للدولة الرسولية (٦٢٦-٨٥٨هـ/١٢٢٨-١٤٥٣م)، وقد لعب الملك المظفر الرسولي (٦٤٧-٦٩٤هـ/١٢٤٩-١٢٩٤م) دوراً في تمدينها وتطويرها، ويوجد في تعز العديد من المعالم التاريخية والآثار الدالة على عراققتها وأصالتها، وتُعد تعز من كبريات المدن اليمنية اليوم، والعاصمة الثقافية للبلد. انظر (المقحفي، ١٩٨٨، ص ٩١، المخلافي، ١٩٨٤، ص ١٤-١٦ مع الهامش، المجاهد، ٢٠٠٧، ص ١٣-٢٤).

(٩) حيس من مدن تهامة وتقع جنوب مدينة زبيد وتبعد عنها مسافة ٣٥ كلم، وتنسب إلى بانيها الحيس بن يريم بن شرحبيل الحميري، اشتهرت حيس بالصناعات الفخارية وزراعة القطن. انظر (الحموي، ٢٠٠٨، مج ٢، ص ٢٠٤، المقحفي، ١٩٨٨، ص ٢٠٣).

(١٠) المجلية وادٍ فسيح تحت قلعة القاهرة في تعز من الناحية الشرقية، تتخلله المروج والأشجار، ويقال أن في وسط المجلية آثار ضريح يهودي مشهور اسمه الشبزي، يعود تاريخه إلى القرن الرابع الميلادي، كان مزاراً لليهود من مناطق مختلفة. انظر (ابن الديبع، ٢٠٠٦، ص ٨٩، المقحفي، ١٩٨٨، ص ٥٦١).

(١١) سهام وادٍ مشهور في تهامة شمالي مدينة زبيد على مسافة

(٢٥) السلامة قرية تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة زبيد، وتجدر الإشارة إلى هناك قرية أخرى تعرف بالسلامة تقع شرقي مدينة حيس من وادي نخلة. انظر (الخرزجي، ٢٠٠٩، مج ١، ص ٢٤٧، ٣، ص ١٣٧٩)

(٢٦) الركبخانة أو الركاب خانة من البيوت السلطانية معناها بيت الركاب ويشتمل على عدد الخيل من السروج واللجم والكنابيش. انظر (المؤلف المجهول، ١٩٨٤، ص ٦١ مع هوامشها).

(٢٧) المملاح هو أحد الأحياء أو القرى التابعة لمدينة زبيد، وقد ذكر الخرزجي أن الحريق اشتعل بالحي والناس غائبون عن منازلهم في صلاة الجمعة، كما جعل تاريخ ذلك الحريق في الثامن من ذي القعدة سنة ٧٨٨هـ/١٣٨٦م. انظر (الخرزجي، ١٩٨٣، ج ٢، ص ١٦٠).

(٢٨) يذكر المؤلف المجهول أن الفقيه شمس الدين علي بن أحمد الجلاد الفرضي الساكن بقرية الجحف حكى أنه "رأى نارا تتأجج على ساحل الفازة كأنها لهب عريش أو قد وهي تمر على الساحل آخذة في اليمن وكانت لا تمر على شيء إلا أحرقتة". انظر (المؤلف المجهول، ١٩٨٤، ص ٩٥).

(٢٩) النويدرة قرية تقع شمال شرقي زبيد، وقد اندرست وتعرف اليوم بالمراحل. انظر (المؤلف المجهول، ١٩٨٤، ص ١٠٠ وهامشها)

(٣٠) انفرد المؤلف المجهول بالإشارة إلى أن حريق النويدرة لم يكن منشأه طبيعياً، بل كان عملاً ممنهجاً تم على أيدي أمراء ومقدمي زبيد، الذين أحرقوا النويدرة وعدة أحياء أخرى في نواحي زبيد؛ حتى لا يسكن فيها الإمام الزيدي صلاح بن علي وعسكره، الذين كانوا في طريقهم إلى مدينة زبيد. انظر (المؤلف المجهول، ١٩٨٤، ص وهامشها ١٠٠)

(٣١) فِشَالُ: بلدة تهامية كبيرة من أعمال وادي رمع شمال زبيد، تبعد عن مدينة زبيد مسافة نصف يوم، وينسب إليها شاعر مشهور يقال له مسرور الفشالي، وقد اندرست فِشَالُ وأصبحت بلدة خربة، وعمرت محلها قرية الحسينية. انظر (الحموي، ٢٠٠٨، مج ٣، ص ٤٣٨-٤٣٩، هديل، ٢٠١٢، ص ٧٩ وهامشها).

(٣٢) أغلب الظن أن سقوط ذلك العدد من جند وعساكر الإمام صلاح الدين لم يكن بفعل الرياح وحدها، إذ يُرجح أن جيشه كان قد دخل في مناوشات حربية مع أهالي زبيد، تسببت في هزيمته وانسحابه من مدينة زبيد. انظر (الخرزجي، ١٩٨٣، ج ٢، ص ١٣٢-١٣٣، ابن الديبع، ٢٠٠٦، ص ٩٣).

(٣٣) الحديدية أكبر مدن تهامة الآن، وأشهر موانئ اليمن على البحر الأحمر، تبعد عن صنعاء ٢٢٦ كلم، ويعود تاريخها إلى القرن الثامن الهجري، بدأت كقرية صغيرة، ثم تطورت كمرسى للسفن وميناء صغير تطور لاحقاً؛ ليصبح منذ بداية القرن ١٦م أحد أبرز الموانئ الرئيسية في اليمن، الأمر الذي جعل مدينة الحديدية محط أنظار القوى المحلية والدولية التي تريد السيطرة على اليمن، وقد دمرت مدينة الحديدية عدة مرات نتيجة الصراع بين تلك القوى

(١٨) من مناطق تهامة جنوبي وادي مور على مقربة من الزهرة، كان لها شأن كبير أيام بني رسول، وإليها ينسب القاضي أحمد بن إبراهيم المحالبي الذي عاش في القرن التاسع الهجري وتقلد مناصب رفيعة حينها. انظر (الحجري، ١٩٨٤، مج ٢، ص ٦٨٩، المحقفي، ١٩٨٨، ص ٥٦٤).

(١٩) أنجزنا بحثاً يتناول الأمراض والأوبئة التي عانى منه المجتمع اليمني في عصر الدولة الرسولية، وهو في طريقه إلى النشر قريباً بإذن الله.

(٢٠) (الخرزجي، ١٩٨٣، ج ٢، ص ٢٠٢). وسيل المسلب المشهور كان قد حدث قبل أكثر من نصف قرن؛ إثر وقوع أمطار غزيرة في وادي زبيد يوم الثلاثاء التاسع عشر من صفر سنة ٧٤٣هـ/٢٥ مايو ١٣٤٣م، أدت إلى تدفق سيل جرار أتى على قرية المسلب وأحدث فيها خراباً كبيراً، ولقي كثيرٌ من سكانها حتفهم بسببه. انظر (ابن الديبع، ٢٠٠٦، ص ٩١).

(٢١) انظر (الخرزجي، ١٩٨٣، ج ٢، ص ٢٢٨). والجدير ذكره أن هناك خطأ في تاريخ اليوم الذي وقع فيه ذلك المطر الغزير الذي أصاب تعز ونواحيها، فالصواب هو الرابع من ذي القعدة الذي يوافق يوم الجمعة، وأما يوم الرابع عشر من ذي القعدة فيوافق يوم الإثنين، وفيه تساقطت أمطار غزيرة مصحوبة برياح شديدة في التهائم حسب ما ذكر المؤلف نفسه، استنتجنا ذلك الخلط والخطأ من خلال قراءة بقية النص في الصفحة نفسها.

(٢٢) انظر (الخرزجي، ١٩٨٣، ج ٢، ص ٢٢٨). ويقع المخلاف السليماني في منطقة تهامة الشمالية على الشريط الساحلي، وتاريخياً كان يدخل ضمن ولاية اليمن، وسمي بهذا الاسم نسبة إلى سليمان بن طرفة الحكمي الذي كان أميراً عليه من طرف دولة بني زياد (٢٠٢-٤٠٤هـ/٨١٧-١٠١٢م)، واليوم أصبح جزءاً من المخلاف السليماني تحت النفوذ السعودي وهو ما يعرف بجازان، ولم يتبق لليمن منه سوى شريط يمتد من ميدي إلى حرض. انظر (ميشيل توشر، ١٩٩٨، ص ٦٤-١٥١).

(٢٣) تجدر الإشارة أن المؤلف المجهول أورد تاريخين مختلفين لذلك السيل، ففي بداية النص ذكر أن ذلك السيل كان في اليوم الخامس من ذي القعدة سنة ٧٩٩هـ/١٣٩٦م، ثم عاد في نهاية نص حديثه عن السيل وما نتج عنه من كوارث ليقول إن ذلك حدث في شهر ربيع الأول سنة ٨٠٠هـ/١٣٩٧م، وقد ذكر محقق الكتاب عبدالله الحبشي في الهامش تعليقا يفهم منه أن جملة شهر ربيع الأول سنة ٨٠٠ لم ترد في إحدى النسخ التي اعتمدها في تحقيق الكتاب وهي النسخة ط. انظر (المؤلف المجهول، ١٩٨٤، ص ١٢٩ مع هامشها).

(٢٤) يرجح أن المقصود به وادي نخلة، وهو من أودية اليمن المشهورة الذي ينتهي مصبه إلى البحر الأحمر، وتأتي روافده من بلاد العدين وشرع وبسقي مناطق كثيرة من تهامة وحيس ونواحيها. انظر (المحقفي، ١٩٨٨، ص ٦٥٧).

(٤١) ينقل مؤلف كتاب تاريخ الدولة الرسولية عن الفقيه شمس الدين علي بن أحمد الجراد الفرضي الساكن بقرية الجحف أنه " رأى نارا تتأجج على ساحل الفازة كأنها لهب عريش أوقد وهي تمر على الساحل آخذة في اليمن وكانت لا تمر على شيء إلا أحرقتة". انظر ( المؤلف المجهول، ١٩٨٤، ص ٩٥).

(٤٢) تجدر الإشارة أننا لم نعث على أي تعريف لهذه الأماكن في المصادر التاريخية، ولا في المعاجم الجغرافية، والظاهر أنها قد اندرست ولم يبق لها أثر اليوم، ويُرجح أنها كانت عبارة محلات في ضواحي مدينة زبيد وعلى جوانب وادي زبيد.

(٤٣) (الخرزجي، ١٩٨٣، ج ٢، ص ٢٢٨). والجدير ذكره أن هناك خطأ في تاريخ اليوم الذي وقع فيه ذلك المطر الغزير، فالصحيح هو الرابع من ذي القعدة وليس الرابع عشر وهو يوم الجمعة كما ذكر المؤلف نفسه، يتضح ذلك من خلال قراءة بقية الأحداث التي وقعت في ذلك الشهر كما أوردها الخرزجي في الصفحة نفسها.

(٤٤) من البيوت التي راحت ضحية ذلك السيل "بيت الضامن البلد والمعروف بابن معوضة" انظر (الجندي، ١٩٩٥، ج ٢، ص ٤٥٢).

(٤٥) مات جلهم تحت أنقاض البيوت التي تهدمت بفعل غزارة المطر. انظر (الخرزجي، ١٩٨٣، ج ٢، ص ٩٥).

(٤٦) (الخرزجي، ١٩٨٣، ج ٢، ص ١٣٠)، وانظر المؤلف المجهول الذي يورد اسم رجل يقال له ابن الأحمر؛ ضمن ضحايا ذلك السيل. انظر (المؤلف المجهول، ١٩٨٤، ص ٧٣).

#### المراجع

أنيس، إبراهيم وآخرون، [د.ت.ط.]، "المعجم الوسيط"، ج ١، دار إحياء التراث العربي، ط ٢، بيروت.

الأهدل، الحسين بن عبد الرحمن ٢٠١٢ "تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن"، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، ط ١، صنعاء.

بولدري، جون ١٩٨١ "أهم الأحداث في تاريخ الحديد"، ترجمة: محمد عزي صالح وآخرون، الإكليل، وزارة الإعلام والثقافة، العددان ٤، ٣، صنعاء، ص ٦٣-٧٢.

بيضان، إيمان محمد ٢٠٠١ "صنعا في كتابات المؤرخين والجغرافيين المسلمين في القرن الرابع الهجري"، دار الثقافة العربية، ط ١، الشارقة.

توشرر، ميشيل ١٩٩٨ "المخلاف السليمانى"، ترجمة: علي محمد زيد، دراسات يمنية، مركز الدراسات والبحوث اليمني، العدد ٣٢، صنعاء، ص ٦٤-١٥١.

الجندي، بهاء الدين محمد ١٩٩٥ "السلوك في طبقات العلماء والملوك"، ج ٢، تحقيق: محمد بن علي الأكوخ، مكتبة الإرشاد، ط ٢، صنعاء.

الحجري، محمد بن أحمد ١٩٨٤ "مجموع بلدان اليمن وقبائلها"،

المتنافسة. انظر (جون بولدري، ١٩٨٠، ص ٦٣-٧٢، المحقفي، ١٩٨٨، ص ١٦٢)

(٣٤) تعد منطقة تهامة ومدنها الساحلية في اليمن من أكثر المناطق في اليمن ارتفاعا في درجة الحرارة، فمتوسط درجة الحرارة السنوية ٢٩ درجة مئوية، وتصل إلى ما بين ٤٠-٤٥ درجة مئوية في فصل الصيف. انظر (اللهبي، ٢٠٠٥، ص ٧٦-٨٢)

(٣٥) انظر (الخرزجي، ١٩٨٣، ج ٢، ص ١٦٣). ويذكر صاحب كتاب تاريخ الدولة الرسولية في اليمن أن تلك الزلازل التي ضربت ثغر عدن استمرت من يوم ٢٠ من شهر شعبان إلى سلخ شهر رمضان المعظم". انظر (المؤلف المجهول، ١٩٨٤، ص ٩٦).

(٣٦) حول كيفية وقوع هذه الهدية يورد صاحب العقود اللؤلؤية نصا يقول فيه: "انقض كوكب عظيم من ناحية الجنوب إلى ناحية الشمال وقت صلاة العشاء فكان له ضوء عظيم زائد على ضوء القمر زيادة كثيرة وبعد مغيبه بقليل وقعت هبة عظيمة حتى سمعت بعض العقلاء قام من موضعه فزعا مرعوبا يظن أن منزله قد انهدم او انهدم بعضه من شدة ما سمع". انظر (الخرزجي، ١٩٨٣، ج ٢، ص ١٨٢).

(٣٧) موزع من مدن تهامة اليمن، تقع جنوب غرب مدينة تعز اليوم، وتبعد عنها بمسافة ٨٠ كلم، قريبة من مدينة المخا والساحل الغربي للبحر الأحمر، وتتبع إداريا محافظة تعز، وقيل أنها سميت بذلك نسبة إلى موزع بن القفاعة بن عبد شمس بن وائل، ومن فضلاء مدينة موزع المشهورين الشيخ أبو بكر بن محمد بن سلامة (ت سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٧م)، والعلامة محمد بن علي الموزعي صاحب مصنف "تيسير البيان في أحكام القرآن" الذي أكمل تأليفه سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م. انظر (الحموي، ٢٠٠٨، مج ٤، ص ٣٣٨، الحجري، ١٩٨٤، ص ٧٢٤، المحقفي، ١٩٨٨، ص ٦٤٤-٦٤٥).

(٣٨) ذكر الخرزجي أن الفقيه أبو بكر بن سليمان الأصابي أخبره أنه شاهد وعين بنفسه تلك الهزات أو الرجفات، وأنها كانت في جماد الأولى أو الآخرة من نفس السنة. انظر (الخرزجي، ١٩٨٣، ج ٢، ص ٢٢١).

(٣٩) الجحف-بضم الجيم- موضع بواد في تهامة إلى الجنوب الغربي من زبيد) انظر المؤلف المجهول، ١٩٨٤، هامش ص ٩٥، المحقفي، ١٩٨٨، ص ١١٢)، وأما المغرب من قرى وادي زبيد، وتقع إلى الغرب من مدينة زبيد انظر (الخرزجي، ٢٠٠٩، مج ١، ص ٥٣٣ وهامشها)

(٤٠) ورور: مكان محصن من جبال صنعاء في بلاد همدان. انظر (ابن عبد المجيد، [بدون تاريخ طبع]، ص ١١٥ وهامشها). والزبيدي وحدة كيل تستخدم لكيل الغلال والأطعمة بأنواعها، وكان مكيال أهل زبيد، وقدره الخرزجي بحمل جمل، ويختلف من مدينة إلى أخرى، وقد حدده ابن الجاور في عدن منأ واحداً، والمن يساوي رطلين. للمزيد انظر (المؤلف المجهول، ١٩٨٤، هامش ص ٤٠، بيضان، ٢٠٠١، ص ٩٦).

- مج ١، مج ٢، تحقيق ومراجعة: إسماعيل بن علي الأكوغ، وزارة الإعلام والثقافة، ط ١، صنعاء.
- الحضرمي، عبدالرحمن عبدالله ١٩٩٢ "لمحة تاريخية لمدينة زبيد"، مجلة دراسات يمنية، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، العدد ٤٨، ص ٣٨٣-٣٩٧.
- الحموي، ياقوت بن عبد الله ٢٠٠٨ "معجم البلدان"، مج ٢، مج ٣، مج ٤، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ط ١، بيروت.
- الخرزجي، علي بن الحسن ٢٠٠٩ "العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن" مج ١، مج ٣، مج ٥، تحقيق ودراسة: عبد الله بن قائد العبادي وآخرون، مكتبة الجيل الجديد، ط ١، صنعاء.
- الخرزجي، علي بن الحسن ١٩٨٣ "العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية" ج ١، ج ٢، تحقيق: محمد بن علي الأكوغ الحوالي، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، ط ٢، صنعاء.
- ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي ٢٠٠٦ "بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد"، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، ط ٢، صنعاء.
- ابن الديبع، عبدالرحمن بن علي ١٩٨٨ "قرة العيون بأخبار اليمن الميمون"، تحقيق: محمد بن علي الأكوغ، مكتبة بساط، ط ٢، بيروت.
- ابن عبد المجيد، تاج الدين عبد الباقي، (بدون تاريخ) "تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن"، تحقيق: مصطفى حجازي، تقديم ابراهيم الحضرائي، دار العودة، بيروت.
- عساج، عبدالقادر ١٩٩٨ "مناخ اليمن" دراسة في الجغرافية المناخية"، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء.
- اللهبي، ناجي علي ٢٠٠٥ "جيومورفولوجية مروحتي وادي زبيد ووادي سرد بالسهل الفيضي الساحلي للجمهورية اليمنية"، رسالة دكتوراه، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة الخرطوم.
- المجاهد، محمد أحمد ٢٠٠٧ "مدينة تعز غصن نظير في دوحة التاريخ"، عدن للطباعة والنشر، ط ٢، تعز.
- مجهول، مؤلف مجهول عاش في القرن التاسع الهجري ١٩٨٤ "تاريخ الدولة الرسولية في اليمن"، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، الجيل الجديد، صنعاء.
- المخلافي، عبد الفتاح بن محمد ١٩٨٤ "كتاب مرآة المعترف في فضل جبل صير"، تحقيق: محمد بن علي الأكوغ، المعمل الفني للطباعة والتجليد، ط ١، تعز.
- المقحفي، إبراهيم بن أحمد ١٩٨٨ "معجم البلدان والقبائل اليمنية"، دار الكلمة، ط ٣، صنعاء.
- هديل، طه حسين ٢٠١٢ "التمردات القبلية في عصر الدولة الرسولية وأثرها في الحياة العامة في اليمن"، دار الوفاق للدراسات